

سقوط مدينة اور ونهاية العصر السومري الحديث في العراق القديم دراسة في ضوء المعطيات الأثرية

د. محمد كامل روكان

كلية الاداب - جامعة القادسية

تعد مدينة اور من اشهر المدن الحضارية في بلاد الرافدين ، وتعرف محليا بـ(تل المقير)، مثل العديد من المواقع الاثرية في العراق القديم، تقع بقاياها اليوم على بعد 365 كم جنوب شرقي مدينة بغداد ، وعلى مسافة 15 كم جنوب غرب مدينة الناصرية.¹

تقع اور في الأزمنة القديمة بالقرب من نهر الفرات ، حيث كانت تستخدمه منفذا تجاريا لاستيراد وتصدير البضائع ، فضلا عن ارواء الاراضي والبساتين ، ولا يوجد دليل يشير الى نشوء هذه المدينة أو الاستيطان فيها قبل دور العبيد (العصر الحجري - المعدني 4000-3500 ق. م)، وربما تكون قد نشأت فوق بقايا قرية من هذا الدور.² مرت مدينة اور منذ نشأتها الأولى بادوار الحضارة المتعاقبة ، وكانت مركزا دينيا وحضاريا لبلاد سومر، وقد آلت اليها الملوكية في عهد سلالتها الأولى بحسب ما جاء في قوائم إثبات الملوك السومرية * والتي جاء فيها ذكر اور ثلاث مرات .

اولا: اور وسلالة ميس اني بدا (بحسب الاثباتات):

(دحرت اوروك في الحرب ونقلت ملوكيتها الى اور ، وفي اور حكم : ميس آني بدا 80 عاما، ميس كياك ننا ابن ميس آني بدا 36 عاما ، ايلولو 25 عاما، بالولو 36 عاما ، اربعة ملوك حكموا 177 سنة .
ثم دحرت اور ونقلت ملوكيتها الى اوان) .

ثانيا : اور وسلالة ملوكها الثانية (بحسب الاثباتات) :

(ثم دحرت اوروك ونقلت ملوكيتها الى اور ثلاثة ملوك حكموا 116 عاما - (اسماء هؤلاء الملوك مخرومة)، ثم دحرت اور ونقلت الى ملوكيتها ادب).

ثالثا: اور وسلالة اورنمو :

(دحرت اوروك ونقلت ملوكيتها الى اور ، وفي اور حكم : اورنمو حكم 18 سنة، شولجي حكم 48 سنة، امار سين حكم 9 سنوات ، شوسين حكم 9 سنوات، ابي سين حكم 24 سنة، المجموع خمسة ملوك حكموا 108 سنوات)³.

وقد تمتعت اور ايام حكم سلالة اورنمو بالاستقرار والرخاء الاقتصادي ، وصارت عاصمة لامبراطورية عظيمة، عمل ملوكها على اعادة الوحدة السياسية الى البلاد من بعد فترة حكم الكوتيين المظلمة ، ووسعوا نفوذهم بفتوحاتهم الخارجية ، فاستعادوا رقعة الإمبراطورية الأكديّة السابقة بكامل امتدادها واتساعها التي شملت أجزاء واسعة من الاقاليم من بينها بلاد اشور وبلاد عيلام وسوريا ووادي الخابور والبالخ والأجزاء الشرقية من آسيا الصغرى ومناطق الخليج ، كما عملوا على إحياء كل فروع الفن والأدب السومري ، لذلك سمي عهدهم بـ (عصر الإحياء السومري) .

الا ان الاخطار بدأت تحف بهذه الدولة منذ اواخر عهد الملك شولكي ، الملك الثاني في سلالة اورنمو، حيث كانت مشكلة القبائل الامورية مستعصية على الدولة، اذ كانوا يدخلون الى البلاد بشكل مستمر ومتكرر، يسرقون القطعان ويخربون حقول الحبوب، مما اضطر الملك شولكي الى تشييد سور بطول 63 كم لمواجهة هذه التدخلات، اكمله من بعده ابنه الملك شوسين ليلبلغ طوله 280كم، الا ان هذا السد الغربي لم يحل دون استمرار الاموريين بالاندفاع نحو البلاد⁴.

وفي خضم هذه الظروف الصعبة والمخاطر التي بدأت تحيق بالبلاد تولى ابي سين الحكم وهو صغير السن⁵، من بعد موت ابيه الملك شوسين ، وقد توج ابي سين في ثلاث مدن مهمة في الامبراطورية عند توليه العرش، في اور عاصمة ملكه ونفر المدينة المقدسة والوركاء، وربما اراد بذلك الاشارة الى الوحدة السياسية للدولة في

شخصه او ربما اراد دفع الشؤم الظاهر، أي الضعف في كيان دولته ، ولكن الوثائق الكتابية تشير الى ان السلطة كانت موحدة وقت اعتلائه العرش.⁶

بدأ ابي سين ايام ملكه الاولى بالبناء والتشييد كأسلافه، فقد بنى سورا لمدينة اور ونفر، ويبدو ان هذا الاجراء كان احترازيا⁷، ثم قام ببعض الحملات العسكرية على الاقاليم الشمالية الشرقية⁸، حيث جاء في نصوص مسمارية ان الملك ابي سين قام بحملة عسكرية على سيموروم في السنة الثالثة من حكمه (السنة التي دمر فيها ابي سين ملك اور سيموروم وهي السنة الثالثة من حكمه)، وفي السنة التاسعة جهز حملة على بلاد انشان (السنة التي ذهب فيها ابي سين مع القوة الكبيرة لخنوري للهجوم على مدينة انشان)، وفي السنة الرابعة عشر حقق انتصارات على سوسة وادامدون واوان واسر حكاهم (في السنة التي سحق فيها ابي سين ملك اور سوسة وادامدون واوان مثل العاصفة وقهرهم كلهم في يوم فذ واسر حكاهم وسكانهم)⁹، وبالرغم من كل هذه الحملات العسكرية التي قام بها ابي سين الا ان دولته كانت تعاني الضعف والانهيار ، وبدأت امارات انهيار السلطة منذ السنين الاولى لحكمه، كما يبدو من سير الاحداث التاريخية ، فقد بدأت المدن والاقاليم التابعة لسلطته ومنذ السنة الثانية لتوليته العرش تعلن انفصالها واستقلاليتها تباعا، فبدأ حكام المدن والاقاليم يستعملون الحوادث الرسمية الخاصة بهم وبمدنهم وامتنعوا عن استعمال الحوادث الرسمية المؤرخ بها في العاصمة ، وهذا يعني في العرف السياسي أن تلك المدن نبذت اعترافها بالسلطة المركزية¹⁰ ، فكانت مدينة اشنونا اولى المدن التي اعلنت استقلالها وانفصالها عن السلطة المركزية في زمن حاكمها اتوريا وذلك في السنة الثانية من حكم ابي سين، ثم تبعها سوسه عاصمة بلاد عيلام في السنة الثالثة، كما نصب نبلانوم احد شيوخ الاموريين ملكا على لارسا عام 2025 ق.م¹¹، تبعها مدينة لكش في السنة الخامسة ومدينة اوما في السنة السادسة ، ثم مدينة نفر - المدينة المقدسة ومصدر الاعتراف بالسلطة الملكية - في السنة السابعة من حكمه¹² ، كما توقف حكام هذه المدن عن ارسال النذور والقرايين الى معبد الاله القمر ن نار الاله الرئيس في مدينة اور منذ السنة السادسة ، وتشير النصوص المسمارية التي دونت في العصور التالية الى تمرد السكان على طاعة السلطة المركزية وظهور العصيان والثورات¹³.

لقد ورث ابي سين دولة تكالب عليها الأعداء وحاقت بها المخاطر فضلا عما تعانيه من انهيارات داخلية ، فمن الشرق خطر العيلامين الذين كانوا يتربصون الفرصة للانقضاض على اور، ومن الشمال الغربي كان خطر القبائل الامورية التي عاثت في البلاد فسادا، كما كان شبح المجاعة يهدد باقصاد الدولة ، فضلا عن انفصال مدن كثيرة عن الامبراطورية ، وخيانة بعض الحكام ، وعلى الرغم من كل هذه المصاعب استطاع الملك ابي سين ان يحتفظ بالسلطة مدة 24 عاما (2028 - 2004).

وكان للعامل الاقتصادي دورا مهما فيما آلت اليه اوضاع دولة اور، وكان الوضع السياسي يزداد سوءا وخاصة بعد اجتياح القبائل الامورية للبلاد واستيلائها على الحقول والاراضي الزراعية ، وقطعهم طرق المواصلات المؤدية الى العاصمة اور من ناحية وازدياد نسبة الملوحة في اراضي بلاد سومر وارتفاع مستوى الطمي في نهري دجلة والفرات من ناحية اخرى ، وهذا ادى بطبيعة الحال الى شحة ونقص المواد الغذائية وخاصة الحبوب التي تسببت في ارتفاع الأسعار ارتفاعا فاحشا¹⁴ ، حيث تشير النصوص المسمارية الى ان شحة القمح وارتفاع اسعاره ارتفاعا كبيرا سبب مجاعة كبيرة في العاصمة اور.¹⁵

وفي السنة الخامسة من حكم ابي سين بدأت القبائل الامورية بالاندفاع الى البلاد من جديد، واخترقوا الاسوار ونزلوا على مدن السهل الرسوبي ينهاها ويدمرونها، فانتهزت معظم المدن الفرصة واعلنت انفصالها عن السلطة المركزية الضعيفة التي ظهر عجزها في صد تقدم هذه القبائل.¹⁶

وبعد تفاقم الاحداث قرر الملك ابي سين ارسال قوات الى الحدود الغربية بقيادة اشبي ايرا ، وكان من ابرز قواده ، لطرد الاموريين من البلاد، وخولته صلاحيات واسعة ، ولكن اشبي ايرا استغل وهن السلطة وضعف الملك، فسعى الى كسب ود الامراء وحكام المدن وقادة الجيش لتعزيز مكانته وسلطته ، مبيتا نية الانقلاب على ابي سين والتفرد بالسلطة، حيث عرض نواياه وما يدبر على بعض القادة والحكام واعداء اياهم بالشراكة .

وكان الملك ابي سين قد امر اشبي ايرا بشراء كميات كبيرة من القمح للحد من مشكلة المجاعة التي عصفت بالبلاد وتسببت في تمرد الناس عليه، ولم يكن الملك يعلم حينها بما يدبره اشبي ايرا، فقد كشفت لنا رسالة بعثها اشبي ايرا الى ابي سين عن بعض مكره وغدره ، وكانت هذه الرسالة تتضمن ابلاغ الملك بشراءه القمح، وهذا نص الرسالة : [الى ابي سين ملكي ، هذا ما يقوله خادمك اشبي ايرا : لقد وليتني مسؤولية حملة الى ايسن وكزالو لشراء القمح ، لقد وصل سعر القمح لكل كور واحد شيقل، (وحتى هذا التاريخ) انفقت (تالنت) من الفضة لشراء القمح ، ولكن الان بعد ان سمعت الخبر بان الـ (المارتو) المعادين قد دخلوا بلادك ، جلبت الى ايسن 72000 كور من القمح ، جلبتها كلها ، والآن دخل الـ (مارتو) كلهم الى وسط البلاد واستولوا على الحصون العظيمة الواحد بعد الآخر ، وبسبب المارتو انني غير قادر على نقل ... القمح ، انهم اقوى بكثير مما اقدر عليه وانني مشلول الحركة ، ليكن لدى ملكي 600 سفينة مجلفطة (سعة) كل منها 120 كور ، دعه ... سفينة (من ..) 72 ، ودعه 50..... وباب او سفينة، ودعه (يجمع) ... كل هذه السفن ، ثم دعها تجلب الى الضيق ... عن (طريق) النهر، (نهر الجبل)، والقنوات المحفورة، وانني سوف امامه . واجلني مسؤولا عن المواقع التي سترسو السفن فيها ، او كل القمح سيخزن في حالة جيدة ، واذا احتجت الى القمح ، فانني سأجلب القمح لك ، يامليكي ، ان العيلاميين قد ضعفوا في المعركة، قمحهم قد انتهى فلا تضعف ، ولا توافق على ان تكون عبدا لهم ولا تمش وراءهم ، ان لدي من القمح (ما يكفي) مدة 15 عاما (ليسد) جوع قصرك ومدنه ، يامليكي ضعني مسؤولا عن الإشراف على (ايسن) و (نفر)] .¹⁷

ومن خلال هذه الرسالة يتضح ان اشبي ايرا قد خزن القمح بالمدينة التي طلب من ابي سين ان يجعله حاكما عليها، وهي مدينة ايسن ، ثم طلب منه ان يضم له مدينة نفر ايضا، وقد اراد بهذا السيطرة على مركز الاعتراف بالسلطة ، حيث لا شرعية لاي ملك الا بعد مباركة كهنة معبد الاله انليل في نفر .

وقد اضطر ابي سين الموافقة على مطالب اشبي ايرا واقره حاكما على ايسن ونفر ، ليضمن ولائه اولا وايصال القمح الى اور ثانيا ، وهو بعد لم يكشف خيانة اشبي

ايرا الذي اغتتم فرصة ضعف وانزواء ملكه في اور، وبعد ان ضمن اشبي ايرا عوامل القوة كالعامل الاقتصادي المتمثل بالقمح الذي يكفي لمدة خمسة عشرة سنة ، والعامل الديني المتمثل بالمدينة المقدسة نفر التي خضعت لسلطانه ، والعامل العسكري المتمثل بقيادة الجيش الذين استطاع كسبهم لجانبه اعلن نفسه ملكا واتخذ من ايسن عاصمة لملكه، ولم يكتف بذلك بل انه سعى جاهدا لاغتصاب عرش سيده ابي سين ، وهذا ماكشفته لنا رسالة (بوزور - نوموشدا) حاكم مدينة (كزالو) الى ملكه ابي سين ، التي يقول فيها : [الى ابي سين مليكي ، هذا ما يقوله خادمك بوزور - نوموشدا ان رسول اشبي ايرا وضع عينه علي (قائلا) ان مليكي اشبي ايرا ارسل اليك هذه الرسالة :

ان انليل مليكي اعطاني بامرہ رعاية البلاد وامرني انليل بان اجلب الى حضرة الآلهة (نينسينا) المدن ، والآلهة ، ومعسكرات ضفاف نهري دجلة والفرات ، وضافاف قناة (نونسي) وضافاف قناة (مي - انليل) ، من بلاد حمازي الى بحر ماجان ، واقامة ايسن كمقر لحكم انليل ولجعلها تسمى باسم عظيم ، ولجعل ... ، ولجعل مدينها (مدن بلاد سومر) مستوطنة بالناس ، فلماذا انت الآن تقاومني ؟ انني اقسم باسم (داجان) الهي ، بانه ليس لي الا النوايا السليمة نحو (كزالو) ، اما بالنسبة للمدن والبلاد التي امرني انليل بتولي شؤونها ، ففي وسط ايسن سأبني بها ، ساجعلها تحتفل باعيادها ، وساقيم في (جيبار) ها تمثالي ، وشعاري ، وكاهني العظيم ، وكاهنتي العظيمة ، وفي حضرة انليل في معبد (ايكور) وفي حضرة (نانا) في (ايكيشنوجال) ابناء سيرتلون ادعيتهم ، فلماذا انت ... الذي تثق به من بلاده ؟ سأشيد سور ايسن وسأسميه (ادبليا شونو) .

لقد وقع ما قاله تماما: فقد شيد جدار ايسن وسماه (ادبلياشونو) ، واستولى على نفر ، ووضع الحراس عليها ، واعلن (؟) عن جميع الأوامر (؟) لقد استولى على نفر ، لقد اسر (زينوم) أمير (سوبير) ، ونهب (حمازي) ، واعاد (ناراحي) أمير (اشنونا) و (شو انليل) أمير (كيش) و (بوزور - توتو) أمير (بادزي - ابا) الى أماكنهم ، ووقف اشبي ايرا على رأس قواته واستولى على ضفاف دجلة والفرات ، وعلى قناتي (نونمي) و (مي - انليل) ، ودخل الى (ايديل - مالجي) ... [وعندما] قاوم (جيربوبو) أمير (جيركال) قطع اشبي ايرا وقبض عليه ،

ان الرعب منه يسيطر علي بشدة ، لقد ركز عينيه علي ليعرف مليكي بانه لا حليف لي، ولا يسير احد بجانبه ، وانه منذ ان ادركني اسير وحيدا] .¹⁸

لقد انقسمت امبراطورية اور بسبب مؤامرة اشبي ايرا الي قسمين، بقي الملك ابي سين يحكم العاصمة اور والمدن القريبة منها لمدة ثلاث عشرة سنة او تزيد قليلا ، بينما استطاع اشبي ايرا ان يفرض سلطته على طول نهري دجلة والفرات من مدينة خمازي في الشمال الشرقي الي الخليج جنوبا ، كما انه اسر الحكام الموالين لابي سين ، واعاد الحكام الذين عزلهم ابي سين لخيانتهم الي مدنهم التي كانوا يحكمونها، وهكذا فقد اصبحت بلاد سومر تحت حكم ملكين، ابي سين الذي اقتصر حكمه على عاصمته اور فيما بعد ، واشبي ايرا الذي سيطر من عاصمته ايسن على اغلب مدن بلاد سومر الأخرى .¹⁹

ان عجز ابي سين المحزن وتردده الذي يرثى له كشف عنهما جوابه الي (بوزور - نوموشدا) ، وعلى الرغم من ادراكه بان بوزور - نوموشدا كان على حافة الخيانة ايضا، الا ان ابي سين لم يستطع ان يفعل شيئا اكثر من مناشدته بالبقاء على ولائه، وامله بان اشبي ايرا سيفشل في تحقيق طموحه في ان يكون سيد بلاد سومر لانه ليس من بذرة سومرية، وان العيلاميين سيهزمون لان انليل قد اخرج الاموريين من بلادهم وانهم سيوقعون الهزيمة بالعيلاميين ويأسرون اشبي ايرا . وهذا نص الرسالة الجوابية التي بعثها ابي سين الي بوزور - نوموشدا حاكم مدينة كزالو :

[الي بوزور - نوموشدا حاكم كزالو ، هذا ما يقوله مليكك ابي سين : منذ ان اخترت لك قوات ووضعتها تحت تصرفك كحاكم كزالو ، أليست قواتك ، كما في حالي ، هي شهرة لك ؟ لماذا ترسل الي بمثل هذا القول : ان اشبي ايرا ركز عينيه علي (وضع علي عيوننا) ، سوف لن آتي إلا بعد ان يكون قد تركني ، كيف حصل انك لم تعرف متى سيعود اشبي ايرا الي (هذه) البلاد ؟ لماذا لم ترسل بالاتفاق مع (جيربوبو) حاكم (جيركال) ، القوات التي وضعت بيدك قبل (ان يعود) ؟ كيف حصل انك تؤخر إعادة ؟ لقد أرسل انليل الشر على بلاد سومر ، ان عدوها هابط من بلاد ورفع الي رعاية البلاد . والآن أعطى انليل الملكية لرجل لا قيمة له

، اي اشبي ايرا الذي هو ليس من بذرة سومرية ، انظر نقد اذلت سومر في مجمع الآلهة ، الاب انليل الذي أوامره امر بكل تأكيد بما يأتي : ((مادام فاعلوا الشر موجودين في اور فان اشبي ايرا، رجل ماري سيهدم أسسها وسيقسم بلاد سومر)) و (هكذا) عندما عينت حاكما للمدن العديدة ، انحازت هذه المدن الى اشبي ايرا وفقا لأمر انليل (حتى بعد ان تسلمت انت ، مثل المدينة الى العدو وبعد ان تصبح خادما له، فان اشبي ايرا لا يعرف). أما الآن فاجلب الى هنا (العون) من اجل إحياء الكلمة الطيبة ولوضع حد للتضليل : ولينجزوا بين سكانها . لا تتصرف ، ولا تكن ضدي ، ان يده لن تنال المدينة ، ولن يمارس رجل ماري السيادة وفقا لخطته العدائية ، لان انليل قد أثار الآن الـ (مارتو) من بلادهم ، انهم سيضربون العيلاميين ويأسرون اشبي ايرا. وباعادة البلاد الى مكانتها (السابقة) ستصبح قوتها معروفة في كافة انحاء الاقطار ، ان هذا امر ملح ، فلا]²⁰.

وفي خضم هذه الاوضاع كان العيلاميون يراقبون الأوضاع وما آلت اليه دولة ابي سين من انهيارات وانقسامات، فاغتنموا الفرصة في السنة الرابعة والعشرين من حكمه متحالفين مع قبائل السوباريين من جبال زاغروس شمالي عيلام وانقضوا على مدينة اور، ولم يبقوا على شيء فيها ، دمروا اسوارها والمعابد والمباني ، تركوا اهلها جثثا في الطرقات والساحات اكواما مكدسة في العراء، والتهمت نيرانهم المخازن والاسواق، وامتهنوا كل شيء مقدس في المدينة ، وعملت فؤوسهم الضخمة في معابد المدينة المقدسة ، واقتادوا ملكها ابي سين اسيرا معهم الى بلاد عيلام ، وتركوا في اور جزءا من قواتهم²¹، تمكن اشبي ايرا بعد قرابة سبع سنين من طردها، واعلن نفسه سيدا لبلاد سومر واكد²².

ان مأساة مدينة اور ودمارها وقتل اهلها وخراب معابدها فاجعة مؤلمة ظلت عالقة في ذاكرة السومريين ، فكتب ادباؤهم انذاك قصائدا ومرثيا ، حفظتها لنا الرقم الطينية ، تصف ما حل باور واهلها ، فكانت مرثية اور* من روائع ماكتب من رثاء ينعى اور واهلها ، فيصف كاتب المرثية مدينة اور بحزن عميق قائلا :

رثاؤك مر اليم ايتها المدينة
مدينة اور التي خربت رثاؤها مر اليم
كم سيظل رثاؤك الاليم يحزن سيدك الباكي

الرب (الاله ن نار) الذي دُمر بيته يشارك مدينته البكاء والندب
ناحت اور وشاركت الرثاء سيدها الذي خربت بلاده
وشاركته (الالهة) ننجال البكاء والنوح من اجل مدينته.²³
وفي مقطع اخر يصف الشاعر ما حل بالمدينة وكأنه مر بها من بعد خرابها ، قائلا :

غادر عهد الحاكم الصالح
اصبحت البلاد خرابا
الحظائر مقفرة ، ماهي الا اشلاء
اين البقر السمين خلف الاسوار
اين الشياه التي انجبت حملانا
ماء السواقي صار عسيرا
وعشب محروق يغطي الحقول
لا تثبت البرية سوى عشب الالم
لم تعد الام ترعى صغارها
والزوج لا يدعو زوجته بلطف
ووصف حال الناس ومليكم قائلا :

سيق الناس من وطنهم
الى بلدان الاعداء مأخوذين
السوباريون يحقرونهم عند الاصيل
وعيلام في الشرق تشبعهم اهانة
واسفاه ان ملك سومر غادر القصر
وذهب ابي سين الى بلاد عيلام
الى المناطق البعيدة حيث حدود انشان
كانه طير هجر عشه

كغريب لن يرى وطنه ابدا²⁴
ووصف الشاعر اله المدينة ن نار وكأنه يعاتب الالهة العظام في بلاد الرافدين قائلا :
جرجرت ساقيّ، فتحت ذراعيّ،
بحرقة ذرفت الدموع أمام أنو،

وبصدق نُحِتُ أمام إنليل.
قلت لهما: عسى أور لا تُدمر،
عسى مدينتي أور لا تُدمر قلت لهما،
وعسى شعبها لا يُسلم إلى الذبح، قلت لهما.
ولكن أنو لم يثلج صدري بكلمة،
بل أصدر الأوامر بهلاك أور،
ووصف الالهة ننجال وكانها تعزي ن نار اله المدينة قاتلة :
ايه نانار، لقد آلت المدينة إلى خراب، والناس ينوحون.
وجثت أهلها، مثل كسرات الفخار، ملأت جنباتها.
الجران المتينة قد تهاوت، والناس ينوحون.
وعند البوابات العالية وفي الطرقات، تكدست الجثث،
وفي جاداتها العريضة التي شهدت الاحتفالات، اختلط الموتى،
وذابت الأجساد من تلقاء نفسها مثل زبدة تحت الشمس.
رجالها الذين نقوا حنقهم بالفأس مطروحون بلا غطاء رأس،
ورجالها الذين صرّعوا بالحراش مطروحون بلا أكفان،
في المكان الذي ولدتهم فيه أمهاتهم مخرجون بدمائهم.
في أور هلك القوي والضعيف من الجوع.
الآباء والأمهات الذين لزموا بيوتهم التهمتهم الحرائق،
والصغار الذين لزموا أحضان أمهاتهم جرفهم الطوفان مثل السمك.
تركت الأمهات بناتهن، والناس ينوحون.
ترك الآباء أبناءهم، والناس ينوحون.
والهة المدينة، مثل طائر محلق، هجرت مدينتها.
ننجال، مثل طائر محلق، هجرت مدينتها.
ثروات أور التي تراكمت في الديار وُضعت عليها أيدي مدنسة،
وفي عنابرها المليئة بالخيرات أُضرمت النار.
العيلاميون والسوباريون المخربون عاملوها باحتقار،
بالمعاول هدموا أور، البيت البار، والناس ينوحون.

أحالوا المدينة إلى ركام، والناس ينوحون.
إلهتها صرخت: وا أسفاه على مدينتي، وا أسفاه على بيتي.
ننجال صرخت: وا أسفاه على مدينتي، وا أسفاه على بيتي.
ووصف الالهة ننجال وهي تعزي نفسها بما حل بمدينتها قائلة :
أنا السيدة، مدينتي آلت إلى خراب، وبيتي آل إلى خراب.
أيها الإله نانار، أور آلت إلى خراب وشعبها قد تشتت.
لقد لعن آنو حقاً مدينتي، ومدينتي حقاً آلت إلى خراب.
لقد أعلن إنليل حقاً عداوته لبيتي، وبيتي حقاً أعمل فيه المعول.
في حقول مدينتي لم يعد ينبت القمح، وفلاحوها هجروها،
والكروم وبساتين النخيل التي كانت تفيض بالخمر والعسل،
صارت تغل الأشواك الجبلية.
أيها الإله نانار، أور لم تعد موجودة، ولم أعد سيدتها.
الويل لي، المدينة آلت إلى خراب، البيت آل إلى خراب.
ايه نانار، أور المقام المقدس، آلت إلى خراب، وشعبها هلك.
الويل لي، أين أجلس، الويل لي أين أقف.
أنا ننجال، مثل راع مهمل راحت خرافه نهياً للسلاح.
الويل لي، أنا التي نُفيت من المدينة ولا اجد مكان راحة لي.
أنا ننجال التي نُفيت من بيتها ولا تجد لها سكناً.

لقد صورت لنا هذه المرثية ما حل بمدينة اور من خراب وتدمير، ولا يمكننا ان نعطي وصفا افصح حالا من هذه المرثية الرائعة ، وبعد هذه الفاجعة التي حلت باور عاصمة حكم سلالة اورنمو وسقوطها بيد العيلاميين سنة 2004 اسدل الستار عن العصر السومري الحديث في حضارة بلاد الرافدين وعادت دويلات المدن تحكم من جديد من بعد الوحدة السياسية التي حققتها سلالة اورنمو للبلاد ، فحكمت ايسن عاصمة الملك اشبي ايرا اجزاء واسعة من البلاد وعاصرتها لارسا ومدن اخرى، وظلت اور تتارجح في تبعيتها لهاتين السلالتين زمنا طويلا، وسمي هذا العصر في تاريخ حضارة العراق القديم بـ (عصر ايسن ولارسا) ، ثم تبعته سلالات اخرى لكنها لم تتمكن من

فرض سيطرتها على كل البلاد حتى ظهور حمورابي (1792 – 1750 ق.م) الذي تمكن من اعادة توحيد البلاد مرة اخرى .

هوامش البحث :

1. الصيواني ، شاه محمد علي ، اور بين الماضي والحاضر ، بغداد ، 1976، ص12.
2. لويد ، سيتون ، اثار بلاد الرافدين ، ترجمة : الدكتور سامي سعيد الاحمد ، بغداد 1980، ص 114.
- * قوائم مطولة ومفصلة ذكرت الملوك الذين حكموا البلاد في عهد ما قبل الطوفان ثم السلالات التي حكمت من بعد الطوفان الى الزمن الذي جمعت فيه هذه الاثباتات ، ويرجح ان زمن كتابتها يعود الى عهد سلالة اور الثالثة (2112-2004 ق.م.) ، وتعد هذه الاثباتات من أهم الوثائق التي ذكرت السلالات الملكية والمدن الحاكمة في بلاد الرافدين. ينظر : طه باقر ، المقدمة ، ص147.
3. باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، " الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين" ، ج 1 ، بغداد ، 1986 ، ص 290-297.
4. هلموت ، اوليش ، السومريون شعب في مطلع التاريخ ، مشروع ترجمة مقدم الى كلية اللغات للطالب ماهر حبيب ، بغداد ، 2004 ، ص 99.
5. ساكز، هاري ، عظمة بابل ، ترجمة : عامر سليمان ، ص 75.
6. هلموت ، اوليش ، المصدر السابق ، ص 98.
7. Jacobsen, Th. The reign of Ibbsin, Journal of Cuneiform studies, 1953, №7, P.41.
8. باقر ، المقدمة ، المصدر السابق ، ص 393.
9. ظاهر ، عشتار سمير ، دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من عصر اور الثالثة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد 2007، ص 20.
10. باقر ، المقدمة ، مصدر سابق ، ص393.
11. المتولي ، نواله ، دراسات في نصوص مسمارية غير منشورة من سلالة اور الثالثة " حفريات تل مزيد " ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد 1986 ، ص 35.
12. باقر ، المقدمة ، ص 393.
13. المصدر نفسه، ص394.
14. Дьяконов ، И.М. " Города государства Шумер " ، История древнего мира ، Главная редакция восточной литературы издательства (наука) 1983.С.311.
15. Gomi " On Critical Economic Situation at Ur Early in the Region of Ibbsin " ، T.، 1984. P.211.، № 36 ، JCS ، en
16. باقر ، المقدمة ، مصدر سابق ، ص 394 ، 395.
17. كريم ، صموئيل ، السومريون ، ترجمة : فيصل الوائلي ، الكويت 1973، ص481.
18. المصدر نفسه، ص 482.
19. المصدر نفسه، ص 92-94.
20. كريم ، المصدر السابق ، ص 483.
21. بوتيرو ، الشرق الادنى ، ترجمة : عامر سليمان ، الموصل 1986، ص 159.
- P.72، 1963، Chicago، the Sumerians ، S.N.، 22. Kramer
- * يرجع زمن نظم هذه المرثية الى العصر البابلي القديم في مطلع الالف الثاني ق.م. ، ويرقى زمن اقدم نسخ لنصوصها التي وصلت الينا الى عهد سمسو-يلونا (1749 – 1712 ق.م) ، وهو الملك السابع من سلالة بابل الاولى ، وقد جمع نصها الكامل من نحو 22 لوحا وكسرمن الواح ، وتتضمن المرثية

سقوط مدينة اور ونهاية العصر السومري الحديث في العراق القديم دراسة في ضوء المعطيات
الأثرية د. محمد كامل روكان

- زهاء 436 بيتا ، وانتظمت في احدى عشر مقطعا غير متساوية في عدد ابياتها. ينظر : طه باقر ، مقدمة في ادب العراق القديم ، ص 213.
- 23 . باقر ، طه ، مقدمة في ادب العراق القديم ، بغداد ، 1976 ، ص 214.
24. هلموت ، اوليش ، السومريون شعب في مطلع التاريخ ، المصدر السابق ، ص 102-104.